



الوحي يتتنّّـل على الرسول الكريم - صلـى الله علـيـه وسلـمـ. بأمر الله، أـن قد حـان الرـحـيل وـالـهـجـرـة لـحـوقـا بـأـصـحـابـه وـأـتـبـاعـه من المـهـاجـرـين وـالـأـنـصـارـ، وـيـعـلـمـه أـن قـرـيشـا تـاتـمـرـ بـه لـتـقـتـلـه أـو تـوـثـقـه أـو تـخـرـجـهـ، وـيـسـتـقـرـ رـأـي فـرـاعـنـةـ الـجـاهـلـيـةـ، عـلـى قـتـلـهـ - صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ، وـتـفـرـيقـ دـمـهـ الشـرـيفـ بـيـنـ الـقـبـائـلـ، وـيـمـكـرونـ وـيـمـكـرـ اللـهـ وـالـلـهـ خـيرـ الـمـاـكـرـيـنـ}.

وفي حين استحكمت خطة قريش وغدت قاب قوسين أو أدنى من التنفيذ، أمر الله رسوله بالهجرة إلى يثرب، والنبي يستعد لتلك الرحلة منذ حين، وهو يعرف أنها كائنة لامحالة، والصديق يطمع في الصحابة المشرفة، ويأملها وقد استأنس النبي بالهجرة يوماً فلم يأذن له فائلاً {لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً فيرجو أن يكون صاحب رسول الله - صلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ. في هـجـرـتـهـ، وـلـا يـسـتـقـرـ أـمـرـ خـلـيلـهـ فـيـهـ، وـهـوـ بـيـنـ الـأـمـلـ وـالـرـجـاءـ، يـعـدـ الـرـوـاحـلـ وـالـمـالـ وـالـزـادـ، وـقـلـبـهـ وـاجـفـ خـيـفـةـ أـلـاـ يـنـالـ صـحـبـةـ نـبـيـهـ فـيـ تـلـكـ الرـحـلـةـ المـحـفـوـفـةـ بـالـخـطـرـ وـالـمـشـقـةـ، وـيـوـدـ أـنـ يـكـونـ مـعـهـ لـيـقـتـدـيـهـ وـيـخـدـمـهـ وـيـنـالـ شـرـفـ صـحبـتـهـ}. والوحي يتتنـّـل على محمد الأمين أـلـآـتـيـتـ على فراشـكـ اللـيـلـةـ، وـالـأـمـيـنـ لـدـيـهـ أـمـوـالـ قـرـيشـ وـوـدـائـعـهـ، وـهـمـ رـغـمـ عـدـاوـتـهـ لـهـ يـأـتـمـنـهـ على نـفـائـسـهـ، وـيـأـمـرـ النـبـيـ عـلـيـاـ أـنـ يـتـخـلـفـ عـنـهـ لـيـؤـدـيـ الـأـمـانـاتـ إـلـىـ أـهـلـهـاـ.

فـيلـتـحـفـ بـبـرـدـةـ النـبـيـ الطـاهـرـةـ وـيـنـامـ عـلـىـ فـرـاشـهـ، وـيـبـيـعـ نـفـسـهـ رـخـيـصـةـ فـيـ سـبـيلـ اللـهـ، فـيـاـ وـيـحـ العـقـولـ الصـدـائـفـةـ عـنـ الـحـقـ الـجـلـيـ وـالـنـورـ الـمـبـيـنـ، أـوـ مـارـضـواـ حـتـىـ أـخـرـجـواـ نـبـيـهـمـ مـنـ بـيـتـهـ وـوـطـنـهـ، وـهـجـرـوـهـ فـيـ مـنـافـيـ الـأـرـضـ أـنـ يـقـولـ رـبـيـ اللـهـ، وـلـكـنـهـ مـاضـ إـلـىـ بـيـتـ صـدـيقـهـ الصـدـيقـ فـيـ هـجـيرـ الـظـهـيرـةـ لـيـخـبـرـهـ {إـنـ اللـهـ قـدـ أـذـنـ لـيـ بـالـهـجـرـةـ}ـ وـالـصـدـيقـ بـلـهـفـةـ الـرـاجـيـ يـهـتـفـ الصـحـبـةـ يـارـسـولـ اللـهـ، فـيـقـولـ - صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ. الصـحـبـةـ، وـتـنـتـلـقـ الـعـيـونـ الـتـيـ طـالـمـاـ اـرـتـقـبـتـ هـذـاـ الرـضـىـ تـهـلـ دـمـوعـ الرـضـىـ وـالـفـرـحـ.

يكـفيـهـ أـنـ صـاحـبـ مـحـمـدـ خـلـيلـهـ فـيـ هـجـرـتـهـ إـلـىـ يـثـربـ، وـأـنـ رـفـيقـهـ فـيـ اـنـطـلـاقـةـ الـهـدـىـ إـلـىـ دـيـارـ أـذـنـ اللـهـ أـنـ تـكـونـ حـسـنـ الـإـسـلـامـ وـدـرـعـ رـسـولـهـ - صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ.ـ.

وـعـلـىـ بـابـ بـيـتـ نـبـيـ اللـهـ تـقـفـ الرـجـالـ الـجـلـدـ، وـيـأـيـدـيـهـمـ الـقـوـاطـعـ لـامـعـاتـ، يـنـتـظـرـوـنـ لـحظـةـ ظـنـ جـبـابـرـةـ الشـرـكـ أـنـهـ وـشـيـكةـ، وـأـرـادـهـاـ اللـهـ لـنـبـيـهـ لـحظـةـ نـجـاةـ وـنـصـرـ وـتـمـكـنـ، وـأـرـادـهـاـ لـلـجـهـلـاءـ الـمـتـفـرـعـنـينـ لـحظـةـ خـزـيـ وـقـهـرـ وـانـكـسـارـ، وـرـسـولـ اللـهـ - صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، يـسـتـغـرـقـ فـيـ لـحظـةـ مـنـاجـةـ وـحـنـينـ، لـحظـةـ وـدـاعـهـ لـبـيـتـ اللـهـ وـحـرـمـهـ الـآـمـنـ، وـمـهـبـطـ الـوـحـيـ، مـيدـانـ دـعـوتـهـ الـأـوـلـ، وـيـنـاجـيـ عـشـيرـتـهـ الـمـعـرـضـةـ عـنـ دـعـوتـهـ، وـهـوـ عـلـىـ وـشكـ الرـحـيلـ، [أـمـاـ وـالـلـهـ لـأـخـرـجـ مـنـكـ، وـإـنـيـ لـأـعـلـمـ أـنـكـ أـحـبـ بـلـادـ اللـهـ إـلـىـ]

وأكرمه على الله ولو لا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت، يا بني عبد مناف إن كنتم ولاة هذا الأمر من بعدي، فلا تمنعوا طائفاً ببيت الله ساعة ما شاء من ليل ولنهار، ولو لا أن تطفي قريش لأخبرتها ما لها عند الله، اللهم إنك أذقت أولئم وبالاً فأذق آخرهم نوالاً.

ويقف التاريخ عجباً من تلك النفس التي لم يمرّ على الأرض أطيب منها ولا أرق، ولا أحلى على الإنسانية، قومه يخرجونه من بيته وهو على الحق، وقلبه الحاني يدعو لهم بالهدى والنّوال، فأي قلم يمكنه أن يخطّ مآثر نبى الرحمة الرّؤوف الرّحيم. وانطلق الركب المهاجر في صحرى مكة متخذاً غاية الحيطنة والحضر متسلحاً بالبيتين والثقة والعناية الربانية، وأبو بكر يمشي مرة خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومرة أمامه ويقطن النبي إلى ما يفعله صاحبه فيقول: {يا أبا بكر مالك تمشي ساعة بين يدي وساعة خلفي؛ فيقول: يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك، فيقول - صلى الله عليه وسلم - : يا أبا بكر لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني؟

قال نعم والذي بعثك بالحق ما كانت لتكون من ملمة إلا وتكون بي من دونك} تسلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصاحب جبل ثور في خطوة تعمية ذكية تقول للأمة أن الإعداد والحيطة جزء لا يتجزأ من مقومات النصر والنجاح، ويدخل الصديق ليسبرئ الغار من الهوام والضواري وأي شيء يمكن أن يؤذي رسول الله، ثم قال إنزل يا رسول الله، فأي حبٌّ وودٌّ صادق مزج بخالص الإيمان حملته لك القلوب يا رسول الله عليك أطيب الصلاة من الله.

وقريش يجنّ عاقلها ويستطيعها القهر أن ينجو منها {محمد} يهرع أبو جهل إلى بيت الصديق ليسأل: {أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ فتقول: لا أدرى أين أبي،} وترتفع الكف الآثمة باللطممة المدوية، يفرغ فيها الأشر المافقون غيظه وتحتسّ أسماء اللطممة في سبيل الله وتمضي وعلى مدار ثلاثة أيام، تحمل الزاد لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولابيها، وتجد نفسها ذات يوم وقد نسيت رباط السفرة، فتشقّ نطاقها نصفين تربط بهما سفرة الطعام لهما، فتبشر بنطاقين في الجنة، وتغدو {ذات النطاقين}

وتلمست قريش أثر النبيّ وصاحبـه حتى بلغت غار ثور، والرسـول وصاحبـه يسمعـان ويرـيان أقدـام الـقوم وما بينـهما وبينـ الخطـر إلاـ أن يـنظرـ أحـدـهمـ تحتـ قـدمـيهـ، وأـبـوـ بـكـرـ مشـفـقـ عـلـىـ صـاحـبـهـ الأـحـبـ، يـقـولـ: {يـارـسـولـ اللـهـ لـوـ أـحـدـهـ نـظرـ تـحتـ قـدـمـيهـ لـرـآـنـاـ وـيـجـيـبـهـ الرـسـولـ الـوـاـقـعـ بـوـعـدـ اللـهـ يـاـ أـبـاـ بـكـرـ مـاـ ظـنـكـ بـاثـنـيـنـ اللـهـ ثـالـثـهـماـ} وـيـرـاهـ النـبـيـ - صلى الله عليه وسلم - خائـفـاـ عليهـ مـحـزـونـاـ لـأـجـلـهـ فـيـقـولـ لـهـ {لـاـ تـحـزـنـ إـنـ اللـهـ مـعـنـاـ} وـتـبـقـىـ هـذـهـ الصـحـبـةـ الصـفـحةـ الـأـرـوـعـ وـالـأـجـمـلـ فـيـ تـارـيـخـ الصـدـيقـ وـيـتـنـزـلـ فـيـهـ قـرـآنـاـ يـتـلـيـ فـيـ كـلـ بـيـاعـ الـأـرـضـ {ثـانـيـ اـثـنـيـنـ إـذـ هـمـاـ فـيـ الـغـارـ إـذـ يـقـولـ لـصـاحـبـهـ لـاـ تـحـزـنـ إـنـ اللـهـ مـعـنـاـ} وـتـظـلـ مـنـارـاـ تـهـتـدـيـ بـهـ قـوـافـلـ الدـعـاءـ إـلـىـ منـهـجـ اللـهـ كـلـمـاـ حـاـصـرـتـهـ قـوـىـ الطـاغـوتـ وـتـأـمـرـتـ عـلـيـهـ لـكـيـ لـاـ تـحـزـنـ، تـظـنـ أـنـهـاـ عـلـىـ اللـهـ هـيـنـةـ وـهـيـ بـعـيـنـهـ سـبـحـانـهـ وـتـحـنـ جـنـاحـ رـحـمـتـهـ وـتـمـضـيـ الرـحـلـةـ بـالـنـبـيـ - صلى الله عليه وسلم - وـهـوـ يـسـلـكـ طـرـيـقاـ غـيـرـ مـأـلـوفـ وـيـعـلـمـ سـرـاقـةـ بـنـ مـالـكـ بـأـمـرـهـماـ وـيـتـبعـهـماـ طـمـعاـ فـيـ تـلـكـ الـجـائزـةـ الـعـظـيمـةـ الـتـيـ بـذـلـتـهـ قـرـيشـ لـمـنـ يـاتـيـهـ بـمـحـمـدـ وـصـاحـبـهـ أـحـيـاءـ أوـ أـمـوـاتـ، وـيـدـنـوـ مـنـهـماـ وـتـسـوـخـ قـدـمـاـ نـاقـتـهـ أـوـ (فـرـسـهـ) فـيـ الـأـرـضـ فـيـنـادـيـهـمـاـ بـالـأـمـانـ، وـيـقـفـاـ حـتـىـ يـصـلـ إـلـيـهـمـاـ، وـقـدـ عـرـفـ أـنـ مـحـمـداـ رـسـولـ اللـهـ حـقـاـ، وـيـخـبـرـ رـسـولـ اللـهـ - صلى الله عليه وسلم - أـنـ قـوـمـهـ قدـ جـعـلـوـ فـيـ الـدـيـةـ، وـيـعـرـضـ عـلـيـهـمـ مـامـعـهـ مـنـ زـادـ وـمـتـاعـ فـلـاـ يـأـخـذـاـ مـنـهـ شـيـئـاـ وـطـلـبـاـ مـنـهـ أـنـ يـخـفـيـ أـمـرـهـماـ، وـسـرـاقـةـ يـرـىـ وـجـهـ الـمـصـطـفـىـ آـمـنـاـ مـطـمـئـنـاـ يـحـسـ بـالـسـكـيـنـةـ مـنـ حـوـلـهـ وـيـفـاجـئـهـ الرـسـولـ - صلى الله عليه وسلم - بأـكـثـرـ مـنـ ذـلـكـ {كـيـفـ بـكـ يـاـ سـرـاقـةـ إـذـ لـبـسـتـ سـوـارـيـ كـسـرـىـ} وـسـرـاقـةـ الـبـدـوـيـ الـبـسيـطـ يـرـىـ فـيـ سـوـارـيـ كـسـرـىـ مـلـكـ كـسـرـىـ فـانـىـ لـهـ بـهـماـ وـلـكـنـهـ يـعـلـمـ أـنـ مـحـمـداـ لـاـ يـكـذـبـ فـيـ قـوـلـ أـوـ وـعـدـ، فـيـطـلـبـ مـنـ رـسـولـ اللـهـ أـنـ يـكـتـبـ لـهـ بـالـأـمـانـ وـالـوـعـدـ، فـيـأـمـرـ النـبـيـ - صلى الله عليه وسلم - عـامـرـ بـنـ فـهـيـرـةـ فـيـكـتـبـ لـهـ الـأـمـانـ وـيـعـودـ وـقـدـ أـدـرـكـ أـنـ مـرـ رـسـولـ اللـهـ سـيـظـهـ لـأـخـلـاـ.ـ

لقد ضاق عة الجهل بكلمات الحق، وكرهت طوابا الظلم انبعاثة النور وإشراقته ولو نفرت النفوس المملوءة شركاً من

الوحданية الجلية وآثرت أن لا تسمع نداء الحق وأن تستأصل دعاته وتنفيهم من الأرض لو استطاعت ولكنها عميت عن حقيقة القدرة الإلهية والمشيئة الربانية ولم تدر أنَّ محمداً وصحابه سيتمكن لهم في الأرض وأن الله سينصره نصراً مؤزراً

{إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْتَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلْمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلْمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (40) سورة التوبة .

المصادر: